لا يمكن الحديث عن العملية التعليمية - التعلمية أو العملية الديداكتيكية إلا بالتوقف عند مفهومين أساسيين في مجال التعليم بالتعريف والتحليل والاستكشاف، وهذان المفهومان هما البيداغوجيا (la pédagogie) والديداكتيك la didactique ومافتئ هذان المصطلحان العويصان يثيران إشكاليات عدة على مستوى المفهوم، والتصور النظري والتطبيق العملي، إذ يصعب التفريق بينهما بشكل علمي دقيق؛ نظرا لتداخل هذين المفهومين في كثير من الدراسات العلمية والمعاجم والقواميس التربوية، ويصعب معه - كذلك- تبيان الحدود الفاصلة بينهما بشكل جلي وواضح.

حيث ان العملية الديداكتيكية تحوي مجموعة من المكونات الديداكتيكية الإستراتيجية هي: المدخلات، والعمليات، والمخرجات، والفيدباك، ويعني هذا أن الديداكتيك يتكون من الأهداف والكفايات من جهة أولى، ومن المضامين والطرائق البيداغوجية والوسائل الديداكتيكية والإيقاعات الزمنية والفضاء الديداكتيكي والتواصل التربوي من جهة ثانية، ومن التقويم بكل أنواعه من جهة ثالثة ومن الدعم والتغذية الراجعة أو الفيدباك من جهة رابعة، ولايمكن الأستاذ أن يدبر دروسه أو يخطط لها إلا في ضوء هذه المكونات الديداكتيكية كلها؛ لأنها بمثابة آليات أساسية في قيادة الفصل الدراسي بكل مكوناته، والتحكم فيه تخطيطا وتدبيرا وتنظيما وتقويما وتتبعا وتكوينا وتوجيها وإشرافا وتنبؤا، ومن هنا فالعملية الديداكتيكية أو ما يسمى أيضا بالعملية التعليمية- التعلمية مرحلة ضرورية لبناء الدرس وإرسائه على أسس علمية متينة ورصينة وموضوعية.

مفهوم البيداغوجيا والديداكتيك: مفهوم البيداغوجيا:

تعني البيداغوجيا la pedagogie في دلالاتها اللغوية تهذيب الطفل وتأديبه وتأطيره وتكوينه وتربيته، وقد تعني الذي يرافق المتعلم إلى المدرسة، وتدل أيضا على التربية العامة أو فن التعليم، أو فن التأديب، أو نظرية التربية التي تنصب على جميع الطرائق والتطبيقات التربوية التي تمارس داخل المؤسسة التعليمية، وقد يكون المقصود بها كذلك العلم الذي يتناول التربية في أبعادها الفيزيائية والثقافية والأخلاقية، ومن المعلوم أن كلمة البيداغوجيا إغريقية الأصل، وكانت تدل على العبد الذي يرافق الطفل في تنقلاته وبخاصة من البيت إلى المدرسة ولقد تطور استعمال الكلمة وأصبح يدل على المربي (Pedagogue) والبيداغوجيا هي جملة الأنشطة التعليمية - التعلمية التي تتم ممارستها من قبل المعلمين والمتعلمين وأكثر من هذا فالتربية لها علاقة وثيقة بالمدرس والمتعلم، بل تنفتح على الإدارة والأسرة والمحيط الخارجي الذي يؤثر في المدرسة، وقد تعني البيداغوجيا تلك النظرية التربوية التي تهتم بالمتعلم في مختلف جوانبه السلوكية والتعلمية والتثقيفية وتقدم مجموعة من النظريات التي تسعف المتعلم في تعلمه وتكوينه وتأطيره، ومن ثم فالبيداغوجيا متعددة الاختصاصات.

كما تنفتح على علوم عدة مثل: علم النفس، وعلم الاجتماع، والبيولوجيا والديموغرافيا ،والإحصاء والاقتصاد والفلسفة والسياسة، وعلم التخطيط، وعلم التوجيه واللسانيات، وعلم التدبير، وعلم الإدارة، وعلم الإعلام.....

هذا، وتتبني البيداغوجيا على ثلاثة عناصر رئيسية هي المعلم والمتعلم والمعرفة أي إن المعلم هو الذي ينقل المعرفة إلى المتعلم عبر المضامين والمحتويات والطرائق البيداغوجية والوسائل الديداكتيكية..... ويعني هذا أن ثمة مرتكزات تربوية ثلاثة المعلم والمتعلم والمعرفة، فالمعلم هو الذي يقوم بمهمة تكوين المتعلم ضمن علاقة بيداغوجية، وما يعلمه المعلم من معارف وأفكار ومحتويات ومضامين وخبرات وتجارب يدخل ذلك ضمن علاقة ديداكتيكية، أما ما يحصله المتعلم من معارف ومعلومات يدخل ضمن علاقات التعلم. والجامع بين المرتكزات الثلاثة يسمى بالفضاء البيداغوجي، ومن هنا يتضمن هذا الفضاء التربوي ثلاث علاقات أساسية هي: العلاقة الديداكتيكية (المعلم التعليم المعرفة) والعلاقة البيداغوجية (المعلم التكوين المتعلم)، وعلاقة التعلم المتعلم التعلم المعرفة.

وبناءا على ما سبق، فإن التربية فعل تربوي وتهذيبي وأخلاقي، يهدف إلى تنشئة المتعلم تنشئة اجتماعية صحيحة وسليمة. ومن جهة أخرى تساهم التربية في الحفاظ على قيم المجتمع وعاداته وتقاليده وتسعى جادة لتكوين المواطن الصالح.
وتسعى التربية جادة إلى إدماج الفرد في المجتمع تكيفا وتأقلما وتصالحا وتغييرا، كما تسعى إلى" الإنماء الكامل لشخصية الإنسان، وتعزيز حقوق الإنسان والحريات الأساسية. يعني تكوين أفراد قادرين على الاستقلال الفكري والأخلاقي، ويحترمون هذا الاستقلال لدى الآخرين، طبقا لقاعدة التعامل بالمثل التي تجعل هذا الاستقلال مشروعا بالنسبة إليهم".
ويضاف إلى ذلك أن التربية تحقق مجموعة من الوظائف الجوهرية كالتعليم والتثقيف والتطهير، والتهذيب والتنوير، وتحرير الفكر من قيود الأسطورة والخرافة والشعوذة، والسمو بالإنسان نحو آفاق إيجابية ومثالية.

مفهوم الديداكتيك:

إذا كانت البيداغوجيا تخصصا نظريا عاما، يتحكم في العلاقة التي تكون بين المعلم والمتعلم، فإن الديداكتيك (la didactique) هو تخصص عملي تطبيقي يتعلق بتدريس مادة معينة إذ نقول: ديداكتيك العربية، وديداكتيك الفرنسية وديداكتيك الرياضيات وديداكتيك العلوم ..... ويعني هذا إذا كانت البيداغوجيا مرتبطة بالمتعلم ونظريات التعلم، فإن الديداكتيك لها حيز ضيق، يتعلق بمجال دراسي معين أو ما يمكن تسميته كذلك بالتربية الخاصة. وللتمييز بين البيداغوجيا والديداكتيك، فالأولى عبارة عن نظرية عامة تعنى بتربية الطفل. في حين، تهتم الثانية بالتدريس، وتتخذ طابعا خاصا.
وإذا كان مصطلح البيداغوجيا قد ظهر قديما مع اليونان وكان يعني تهذيب الطفل وتأديبه، فإن مصطلح الديداكتيك قد ظهر في منتصف القرن العشرين واستخدم بمعنى فن التدريس أو فن التعليم (Art d'enseigner) هذا هو التعريف الذي قدمه قاموس Le Robert سنة 1955 وقاموس (Le Littre) سنة 1960. وابتداء من هذا التاريخ، أصبح المصطلح لصيقا بميدان التدريس، دون تحديد دقيق لوظيفته، وهناك من منظري علوم التربية من اعتبر

هانس إبلي Hans Abeli أول من اقترح عام 1951م إطارا عمليا لموضوع الديداكتيك، في مؤلفهLa didactique psychologie حيث نظر إلى الديداكتيك كمجال تطبيقي لنتائج السيكولوجيا التكوينية.

نعني بالديداكتيك طريقة التدريس أو ما يسمى بالعملية التعليمية- التعليمية، وتجمع هذه العملية بين طرفين أساسين هما: المعلم والمتعلم ومن ثم تنبني العملية الديداكتيكية على المدخلات والعمليات، والمخرجات والتغذية الراجعة، وقد تكون المدخلات أهدافا أو كفايات أو ملكات أو غيرها من التصورات التربوية الجديدة المعترف بها رسميا، وتستهدف هذه المدخلات تسطير مجموعة من الكفايات المزمع تحقيقها في شكل أهداف إجرائية سلوكية، قبل الدخول في مسار تعلمي، أو تنفيذ مجزوءة دراسية، ويتم ذلك بوضع امتحان تشخيصي قبلي في شكل وضعيات إدماجية، يعني هذا أن العملية التعليمية - التعلمية تنطلق من مدخل أساسي يتمثل في تحديد الأهداف الإجرائية أو الكفايات النوعية من أجل التثبت من تحقيقها. لذا لابد أن يختار المدرس المحتويات المناسبة، والطرائق البيداغوجية الكفيلة بالتبليغ وتسهيل الاكتساب والاستيعاب، ثم هناك الوسائل الديداكتيكية التي يستعين بها المدرس لتقديم درسه وتوضيحه بشكل جيد، أما المخرجات فتقترن بقياس الأهداف والقدرات والكفاءات لدى المتعلم على مستوى الأداء والممارسة والإنجاز، ويتحقق هذا القياس عبر محطات التقويم التشخيصي والمرحلي والنهائي، ولا يمكن الحكم على الهدف أو الكفاية إلا بالتقويم الذي قد يكون تشخيصيا أو قبليا أو تكوينيا أو إجماليا أو إشهاديا أو مستمرا أو إدماجيا... وبعد ذلك، نلتجئ إلى التغذية الراجعة والدعم والمعالجة الداخلية والخارجية، ويعني هذا كله أن الديداكتيك أو التربية الخاصة تعتمد على الأهداف أو الكفايات من ناحية أولى، والمضامين والطرائق والوسائل الديداكتيكية من ناحية ثانية، والتقويم والفيدباك من ناحية ثالثة.

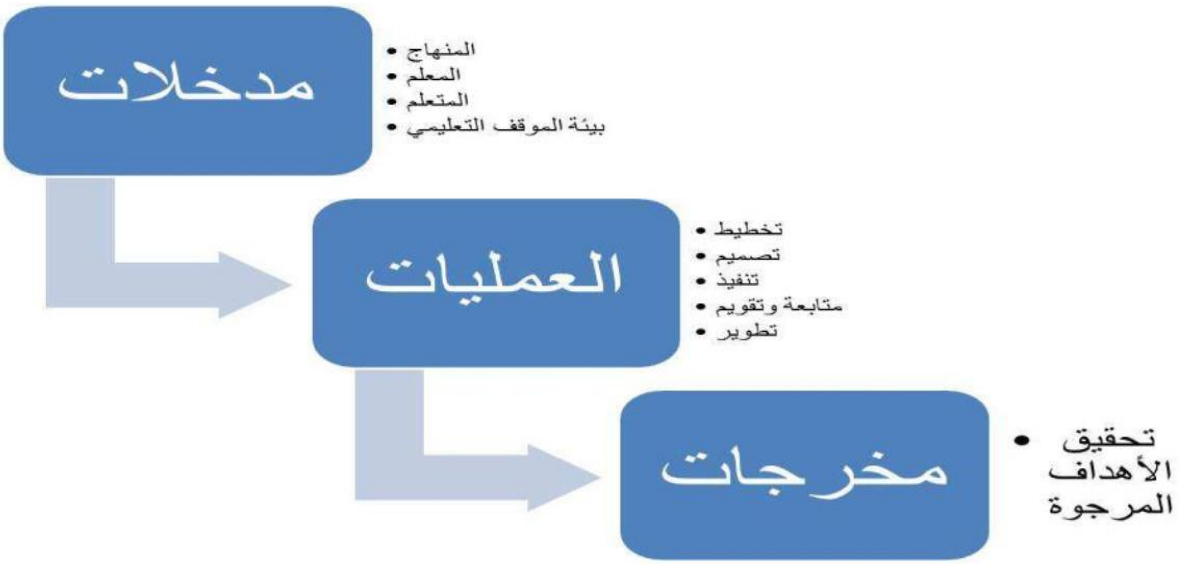

تحليل العملية التعليمية

قبل تحليل العملية التعليمية لا بد لنا أن نقف أمام مفاهيم أساسية " التعليم والتعلم ".

1- التعلم: ونعني بها عملية التحصيل التي يدرك الفرد موضوعا ما ويتفاعل معه كما أنه عملية يتم بها اكتساب المعلومات والمهارات وتطوير الاتجاهات.

2- التعليم: هو نشاط تواصلي يهدف إلى إثارة المتعلم وتحضيره وتسهيل حصوله على المعرفة.

3- العملية التعليمية: هو كل تأثير يحدث بين الأشخاص ويهدف إلى تغير الكيفية التي يسير وفقها الأخر، والتأثير المقصود هو الذي يعمل على إحداث تغيرات في الأخر بفضل وسائل تصورية معقولة إي بطريقة تجعل من الأشياء والإحداث ذات مغزى.

تحليل العملية التعليمية: تعني بتحليل العملية التعليمية الدراسة التحليلية التي تهدف إلى فهم وتفسير ظواهر التعليم داخل المؤسسات المدرسة والمؤسسة التكوين وتقتصر الدراسة على محاولة تفكيك ظاهرة مشخصة من صلب الواقع المدرسي وهي ظاهرة إثناء أنجاز الدرس.

مراحل العملية التعليمية: تنحصر العملية التعليمية في 4 مراحل هي:

1- مرحلة التنظيم: ويتم فيها تحديد الغايات العامة والخاصة، كما يتم فيها اختيار الوسائل الملائمة، التي تساعد في فهم الدروس وتحقيق نسبة كبيرة من التحصيل.

2- مرحلة التدخل: أي تطبيق إستراتيجيات وإنجاز تقنيات تربوية داخل القسم.

3- مرحلة تحديد وسائل القياس: لقياس النتائج وتحليل العمليات.

4- مرحلة التقويم: وفيها يتم تقييم المراحل كلها بامتحان مدى انسجام الأهداف وفعالية النشاط التعليمي.

مكونات العملية التعليمية:

1- الأهداف: وهي العنصر الأساسي، كما أنها تمثل نقطة انطلاق باقي العناصر وتوجه باستمرار سيرورة العملية التعليمية كما تفيد في الوقوف على مدى استجابة المتعلمين لما قدّم لهم في مختلف الدروس.

2- المعلم: هو موجه للمتعلمين ومصدر المعرفة ويتميز المعلم الناجح بالتعقل في الحكم المراقبة الذاتية «ضبط النفس»، الحماس، الجاذبية ، التكيف والمرونة؛ بعد النظر.

3- المتعلم: هو جوهر العملية التعليمية ومحورها، وانطلاقاً منه تتحدد باقي العناصر بصورة علمية، ولتفعيل وإنجاح العملية على المعلم أن يهتم بجميع الجوانب في شخصية التلميذ.

4- الطريقة: وهي مختلف الأنشطة أو الخطوات المنظمة وفق مبادئ وفرضيات سيكولوجية متجانسة وتستجيب لهدف محدّد، لا يمكن الحديث عن الطريقة إلا عندما يتحقق قدر من التلاؤم بين الأهداف المبادئ والخطط والتقنيات.

5- الوسيلة: من الخطأ تسميتها وسائل الإيضاح، فهي جزء لا يتجزأ من العملية التعليمية، ومن شأنها توضيح المفاهيم وتشخيص الحقائق، كما أنها تضيف لمحتويات المواد الدراسية

حيويّة وتجعلها ذات قيمة عمليّة وأكثر فعاليّة، وأقرب إلى التطبيق، وتساعد التلميذ على فهم المادة وتحليلها وترسيخ المعلومات في ذاكرته وربطها في مخيلته.

6- المحتوى: هو كل الحقائق والأفكار التي تشكل الثقافة السائدة في مجتمع ما وفي حقبة معينة، وهو مختلف المكتسبات العلمية والأدبية وغيرها مما تتألف منه الحضارة وبما تزخر به الثقافات في كل البقاع، والتي تصنف في النظام الدراسي إلى مواد مثل اللغة الحساب التاريخ... واختيار مادة دون غيرها أو قسطا منها دون سواه يتم بناءً على الأهداف والغايات المتوخاة.

7- نمط التواصل: وهو مقياس التفاعل بين المعلم والمتعلم ذلك لأن كثيرا من الدراسات أثبتت أهمية العلاقة بين المعلم وتلميذه باعتبارها متغيرا حاسما في تحديد نمط التعليم وطريقته.

صعوبات تحليل العملية التعليمية:

مرتبطة بالأهداف التي وضعت مجموعة القسم من أجلها فعندما يعهد المجتمع بالصغار إلى المدرسة فإنه لا ينتظر منها أيضا إعدادهم ليكونوا مواطنين صالحين.

وترتبط الصعوبة الثانية بصفة عامة بمحتويات التعليم وموارده وكذا بالتكنولوجية المتوفرة والمستعملة في القسم وبالظروف السيكولوجية التي تحيط بالمدرسة وأنواع التنظيمات والامتحانات والتي تجعل من ظاهرة القسم معقدة تتفاعل داخل عوامل متشبعة وتنصهر فيها عوامل ومتغيرات شديدة التباين.

المثلث الديداكتيكي حسب هوسيي

Jean Houssay

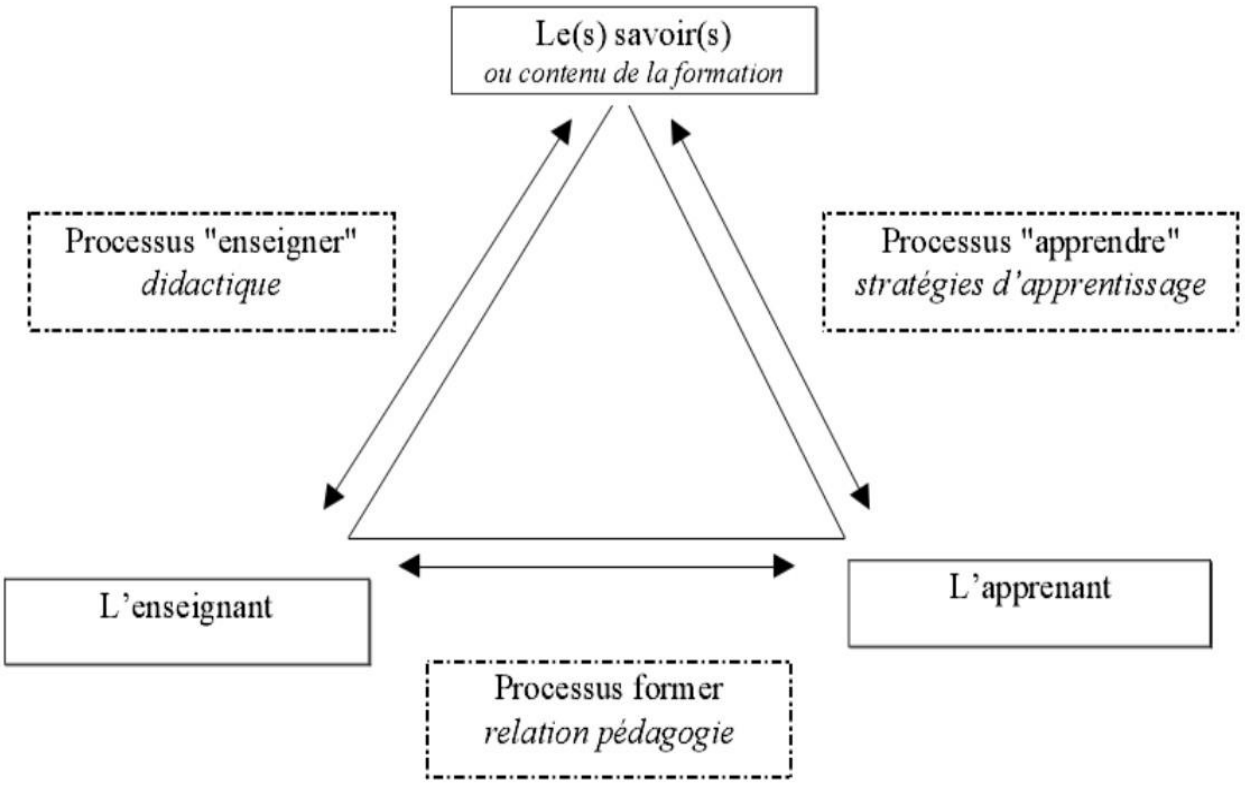

المثلث البيداغوجي (بين التدريس التقليدي واعتماد التدريس بالمقاربة بالكفاءات).

1- الدرس التقليدي: تهميش احد مكونات المثلث الديداكتيكي.

2- بيداغوجيا الكفايات: توسيع شبكة التفاعل.

يتأسس المثلث الديداكتيكي على ثلاث مكونات أساسية.

صيرورات يكون فيها أحد العناصر مقصيا من التفاعل ليلعب دور الضمير المستتر.

* **الصيرورة الأولى:** يكون فيها التفاعل مثمرا بين المدرس والمعرفة بينما يكون المتعلم متلقيا سلبيا، وهذا ما نلاحظه في التدريس التقليدي

* **الصيرورة الثانية:** يكون فيها التناغم بين المدرس والمتعلم لافتا بينما تهمش المعرفة

* **الصيرورة الثالثة:** يلغي فيها دور المدرس ليدخل المتعلم في علاقة مواجهة مباشرة مع المعرفة، إلا أن الأبحاث التربوية الحديثة تتجه إلى توسيع شبكة التفاعل بين جميع المكونات، يتعلق الأمر إذن بإعادة توزيع للأدوار داخل المثلث الديداكتيكي على النحو الآتي:

* المدرس ليس مالكا للمعرفة وموزعا لها على الآخرين، بل إنه وسيط بين مصادر المعرفة واهتمامات المتعلمين وحاجاتهم وذلك بما يوفره من شروط سيكوبيداغوجية وسوسيوبيداغوجية تسهل عملية اتخاد قرار التعلم (المقاربة الجديدة).

* **المتعلم:** نحو المقاربة بالكفايات إلى الانتقال من الاهتمام بنقل المعارف الجاهزة إلى المتعلم إلى الاهتمام بتمهيره - من المهارة - وذلك بتمكينه من مفاتيح البحث عن المعارف والحلول في سياقات مغايرة.

* **المعرفة:** إن مقولة المعرفة من أجل المعرفة أصبحت تنتمي إلى التاريخ ليصبح الرهان منصبا على المهارة والاستخدام النفعي للمعرفة حتى يتمكن المتعلم من مواجهة وضعيات تعليمية أو معيشية بعدة معرفية ملائمة، من داخل هذا الوعي إذن فان مكونات النسق / المثلث الديداكتيكي تتفاعل فيما بينها لتولد ثلاث علاقات أساسية كالآتي:

- علاقة المتعلم بالمعرفة

processus apprendre

(Stratégies d'apprentissage)

وتتمثل في عدة قضايا:

* قضية العوائق التعليمية التي تحول دون امتلاك المتعلم للمعرفة العلمية المقدمة له في الفصل.

* قضية التصورات وضرورة الوقوف عليها ومعالجتها لتسهيل عمليات امتلاك المعرفة من طرف المتعلم.

- علاقة المعلم (الأستاذ) بالمعرفة (المادة الدراسية)

وتفرز بالأساس قضية تحليل المضمون المعرفي من طرف المعلم (الأستاذ) وما ينتج عنها من عملية التعليم (الديداكتيك).

- علاقة المتعلم والمعلم (الأستاذ): Processus former* Relation pédagogie

" علاقة بيداغوجية ".
وتفرز بدورها ثلاث قضايا على الأقل:
- قضية العلاقات التربوية.
- قضية العقد التعليمي الذي يربط بين كل من المتعلم والمعلم.
- قضية التصورات التي يحملها المعلم حول مختلف المواد المعرفية التي يتعامل معها في إطار الوضعية التربوية.

التعاقد الديداكتيكي:

* يمكن تعريفُ التَّعاقد الديداكتيكي حسب كي بروسو Guy Brousseau بأنه:
" مجموع السلوكيات الصادرة عن المدرّس والمنتظرة من المتعلّمين، ومجموعُ السُّلوكيات الصادرة عن المتعلّمِ والمنتظرة من المدرس.
ويتأسس مفهوم التعاقد على أساسين اثنين:

1- الحرية: لا يمكن إكراه المتعلّم على إنجاز عمل لا يرغبه.

2- الالتزام: والالتزام ببنود العقد البيداغوجي يعطي القوَّةَ والمشروعية، ويحقق الدافعية فالتعاقد؛ عبارةٌ عن تنظيم لعمليات التعليم - التعلُّم عن طريق الاتِّفاقِ الصَّريح المبني على التفاوض بين الشركاء المعلّم؛ باعتباره المنشط والمتعلّم، باعتباره الشريك التربوي.
التعاقد شكل من أشكال تبادل الاعتراف قصد تحقيق أهداف معيَّنة معرفية - وجدانية - ومهارية....

فبيداغوجيا التعاقد مبنية على

حرية الاقتراح والتقبل والرفض.
- مبدأ التفاوض حول بنود العقد التعليمي - التعلمي.
انخراط جميع الأطراف المتَّفقة لإنجاح مشروع العقد، وللإشارة فإنَّ بيداغوجيا التعاقدِ تستَمِدُّ بعض مقوّماتها من فلسفة: بيداغوجيا المشروع، فالمشروع نوع من الشراكة بين الأطراف المساهمة والفاعلة في تحقيق الأهداف، وإنجاح المخطّطات، ويبنى التعاقد البيداغوجي بـ"ميثاق القسم: باعتباره شكلاً من أشكال التَّعاقد، ويُصاغ في بداية الموسم الدراسي، لتحقيق أهدافٍ وغاياتٍ محدَّدةٍ ، يتَّفق المتعاقدان على بنوده، ويلتزمان بتنفيذه ويتضمَّنُ الميثاق
- ميثاق القسم مثلاً - الحقوق والواجباتِ، والتعاقد الديداكتيكي نوعان:

1- النوع الأول:

تعاقد صريح، يصرّح فيه الطرفان بالغايات والمرامي والأهداف والإجراءات والتدابير.

2- النوع الثاني:

تعاقد مضمر، لا يصرّح فيه الطَّرفانِ بالشروط والإجراءات التفصيلية المنظمة للعملية التعليمية التعلمية فالمدرّس في حاجةٍ لتوضيح الأهداف والوسائل والشروط والممنوعات والإجراءات التدبيريَّة والتنظيمية، والجديرُ بالذِّكْرِ أنَّ القانون الداخلي للمؤسسة غير كافٍ

لبَلُورةِ عقد بيداغوجي واضح المعالم، وإن كان لا يُستغنى عنه، باعتباره المحدّد للفلسفات الكبرى والتوجهات التي ينبغي التزامها.
فالتعاقد البيداغوجي أشمل من التعاقد على إجراءاتٍ ذات طبيعة تنظيمية أو إجراءاتٍ ماديَّة أو تقنية، يمكنُ أن تتجسد في القانون الداخلي للمؤسسة.
إذ يشمل مصطلح التعاقد - في مجال التَّربية والتعليم - جانبين اثنين:

1- جانب التربية.

2- جانب التعليم.

وفي الغالب لا يُميّز بين التربية والتعليم بشكل دقيقٍ، فرغم تداخلهما إذ هما ينتميان للحقل المعجمي نفسه، فالتربية غير التَّعليم .
وينبغي أن يُصاغَ" العقد "بشكل تشاركي توافقي، يراعي البُعْدَ المصلحي النفعي.
وتُستحضر في العقدِ المذكّراتُ المنظمة والقوانين المؤطّرةُ والمناهج والمقررات والتوجهات الرسمية، ولا يعني ذلك أنَّ هامش الحرية والإبداع غير متاح، فالهامش واسع بالنسبة للأساتذة المبدعين والمطوّرين والمجدين، و التعاقد في المجال المدرسي مركب:
1- تعاقد بين المعلم والمتعلّم، والذي بيَّنا سلفًا أنه قد يكتسي صبغةً صريحةً أو ضمنية.
2- تعاقد بين المعلم والإدارة التَّربوية أو الجهات الوصية على القطاع.
3- تعاقد بين المعلم والإدارة التَّربوية وجمعية آباء وأولياء التلاميذ.
الهدف من التعاقد الديداكتيكي تحقيقُ النَّجاعة والجودة؛ وإن كان مصطلح الجودة غير واضح المعالم في مجال التربية والتعليم.